## رؤوس الجسور كيف تبنى ؟ وكيف تثور ؟

**أولاً : مقدمة** :

مفهوم رؤوس الجسور مفهومٌ عسكريٌ نظاميٌ كلاسيكي ، المقصود به هي تلك البقعة من أرض العمليات ، أو منطقة المسؤولية التي يختارها القائد العسكري لتكون بداية توغله في الأرض المقابلة له أو المدينة التي يرابط في مواجهتها ، بحيث تكون هذه القطعة من الأرض بمثابة الخطوة أو القضمة الأولى التي ينطلق منها موسعاً وضعيته ، محرراً أو محتلاً لما يواجهه من أرض أو مدن وقرى ، فإن أحسن هذا القائد تحديد مكان رأس الجسر الذي يريد أن يحتله ويبدأ منه عمليته العسكرية أو تعرضه على عدوه ، إن أحسن الاختيار ؛ كانت خطواته التالية في عمليته العسكرية خطوات موفقة تحقق له ما يصبو له من أهداف ؛ بأقل الأثمان وأسرع الأوقات ، وإن لم يحسن القائد اختيار رأس جسره في منطقة عدوه ؛ فإنه سيمنى بالفشل ، وستتحول بقعة الأرض تلك إلى مصيدة وكمين يلحق به خسائر مادية وبشرية غير متصورة ، فضلاً عن أن عدوه سوف يتمكن من معرفة نواياه المستقبلية وخططه القتالية ، فيترصده ويصطاده ، كما يُصطاد البط في المستنقع ! وهنا قد يتبادر إلى أذهان البعض أن مثل هذا المصطلح أو المفهوم أو طريقة العمل هذه ــ عمل رؤوس جسور ـ لا تصلح للتطبيق أو الاستفادة منها في حروب العصابات ، أو عمليات المقاومة التي تقوم بها خلايا عمل مقاوم تنتشر في المكان الذي يحتله أو يسيطر عليه عدوها ، الأمر الذي لا يعتقد كاتب هذه الورقة أنه دقيق ؛ بل يزعم الكاتب أن هذا المفهوم وطريقة العمل هذه يمكن أن تطبق في الأراضي المحتلة إن أحسنا شرح الموقف وتبين جزئياته ، **الأمر الذي ستهتم هذه الورقة بتبيانه وشرحه ، بهدف زيادة الوعي العسكري ، وتنمية الفهم التخصصي لدى أبناء المقاومة في فلسطين عموماً وفي الضفة الغربية خصوصاً** ، لما تمثله هذه الجغرافيا ـ الضفة الغربية ـ من أهمية في مسار بناء قدرات المقاومة الفلسطينية ، وما يمكن أن تشكله هذه القدرات من تهديد ذي مصداقية ، يهدد أصل مشروع عدونا المحتل لأرضنا ، وهنا ستناقش هذه الورقة ، هذا المفهوم ــ رؤوس الجسور ـ من خلال العناوين التالية .

**ثانياً: المهمة :**

إن أول ما يساعد في تطبيق هذا المفهوم وجعله واقعاً تعبوياً في أية منطقة عمليات هو تحديد مهمة بقعة الأرض هذه ، وما هو مطلوب منها أن تحققه ، والذي يمكن أن يكون أهمه ما يأتي :

١. **استقبال القدرات البشرية المادية وادخارها** :

إن أول مهمة من مهام رؤوس الجسور هي استقبال القدرات العسكرية ـ البشرية والمادية ـ والتي تعد أقل ما يمكن البدء به من عديد وعتاد في صناعة تهديد ذي مصداقية على العدو . فليس مطلوباً من القائد العسكري ـ بغض النظر عن مستواه أو حجم ما يقود من تشكيلات ـ ليس مطلوباً منه أن يبحث عن بقعة جغرافية تستوعب كامل التشكيل تحت إمرته أو كامل القدرات التي تقع تحت مسؤوليته ، إنما مطلوبٌ منه أن يبحث عن بقعة جغرافية تستوعب جزءاً مما تحت مسؤوليته من قوات ، قادرة على الانتقال إلى تلك الجغرافيا ، والتشبث بها والدفاع عنها إلى حين التحاق ما هو مخطط له أن يلتحق من قوات لتوسيع الوضعية ، وقضم مزيد من المساحات الجغرافيّة .

٢. **حماية هذه القدرات والدفاع عنها** :

أما المهمة الثانية المتصورة لرأس الجسر المُشكل فهي ، حماية القدرات التي تندفع باتجاهه وتلتحق به ، فليس الهدف من احتلال رأس الجسر ذلك فقط حماية القوة التي شكلته ابتداءً ؛ وإنما إمكانية توفير الحماية والدفاع عما سيلتحق ويدخل إلى رأس الجسر ذلك من قوات وقدرات ـ بشرية ومادية ـ ، حيث

لا تشكل عملية بناء رأس الجسر نهاية مهمة عسكرية ؛ إنما هي بداية عملية عسكرية ، وخطوة نحو التحضير لخوض اشتباكات واحتكاكات بالعدو ، بهدف قضم مساحات أرضية مما هو مسيطر عليها ، وقضم جغرافيات محتله من قبله ، وصولاً إلى تحرير كامل منطقة المسؤولية التي بني رأس الجسر في مكان منها .

٣. **فرض حقائق ورسم معادلات** :

كما يمكن تصور أحد مهام رأس الجسر على أنها حالة وموقف يتم العمل على تحقيقه من أجل فرض حقائق تعبوية ورسم معادلات عسكرية تفرض على العدو ، فرأس الجسر يمكن أن يشكل شوكة تنغص على العدو عيشه ، وتمنعه من التفكير المنظم المطلوب لحل المشاكل والمعضلات ، كما أنه ـ رأس الجسر ـ يمكن أن يفرض على العدو إعادة ترتيب أولوياته أو نشر قواته ، والتفكير مجدداً فيما كان ينوي أن يقوم به من عمليات تعبوية أو تعرضات هجومية ، إن بناء رأس الجسر بنجاح يعني بداية فرض حقائق ورسم معادلات ، وتحقيق أهداف وإنجازات .

٤. **توسيع الوضعيات وبسط السلطات** :

حيث أن رأس الجسر ليس مطلوباً لذاته ، وإنما هو إجراء مرحلي ، يهدف إلى توسيع بقعة الأرض المسيطر عليها من قبلنا ، وبسط سلطتنا ـ المادية أو المعنوية ـ على مساحات أخرى مجاورة لها ، لذلك فإن أحد مهام هذا الإجراء هو توسيع وضعية القوات المنتشرة فيه حتى لا تختنق ، ويضيق عليها هامش مناورتها ، وحتى لا تصبح هدفاً ثابتاً أينما وجهت له ضربة ، أصابت منه مقتلاً ، لذلك عندما يُختار المكان الذي سيكون رأس جسر للقوات ؛ يجب أن يوفر هذا المكان القدرة على توسيع الوضعية القتالية ، وتحسين الموقف التعبوي للقوات ، ومن ثم الانطلاق من ضيق المكان إلى رحابة الجغرافيا .

٥. **نقاط ارتكاز ومنصات انطلاق** :

ومن مهام رؤوس الجسور أنها تشكل نقاط ارتكاز ومنصات انطلاق لتحقيق أهداف كبيرة ، وعليه كلما كان اختيار هذه النقاط اختياراً ( متعوباً ) عليه وموفقاً ، كانت نقاط الارتكاز ومنصات الانطلاق تلك مؤثرة جداً في تحقيق الانتصارات ، وفرض الحقائق والمعادلات ، وكلما أصبح وجودها منغصاً ومزعجاً للعدو ، كما أنها ستكون محطات انتصار في مسير النصر النهائي ، وتحقيق الهدف الكلي من المعارك أو الحروب .

هذه بعض مهام رؤوس الجسور ، وما يتوخى تحقيقه من العمل على بنائها أو احتلالها ، وحتى تكون هذه الجغرافيات محققة لما هو مطلوب منها من أهداف ؛ يجب أن تتوفر فيها مجموعة من الصفات و / أو الميزات التي سنأتي على ذكرها في العنوان التالي .

**ثالثاً : المواصفات** :

١. **إمتلاك حاضنة شعبية داعمة أو مساعدة** :

إن كان رأس الجسر العسكري النظامي الكلاسيكي ليس مطلوباً لتكوينه أن تكون هناك حاضنة شعبية تحتضن القوات التي ستنزل فيه أو تحتله ؛ فإن رأس الجسر في عمل العصابات وقوات المقاومة التي تقاوم محتلاً يجب أن تتوفر لديه حاضنة شعبية مؤيدة ومساعدة ، تعين على الدخول الآمن إلى هذه الجغرافيا والأماكن ، كما توفر لنازليه سبل الحياة ، وأسباب وأدوات العمل ، وإمكانية التردد منه وإليه ، إن توفر مثل هذه الحاضنة الشعبية المؤيدة ،هي أهم عنصر من عناصر نجاح بناء رؤوس الجسور المقاومة في مدننا وقرانا وخِربنا في فلسطين المحتلة عموماً ، وفي الضفة الغربية خصوصاً.

٢. **قريبة من مصادر القدرات** :

ومن المواصفات المهمة لمثل هذه الأماكن التي تعين على بنائها واستمرار عملها ؛ قربها من مصادر القدرات ــ الذاتية أو الرديفة ـ ، فرأس الجسر في العمل المقاوم ما هو إلا خلية عمل استقرت في قلب مناطق العدو ، وهي بحاجة إلى إمدادها وتزويدها بأسباب الحياة ، وبما تدافع به عن نفسها ، تُزود بها من مقر قيادتها أو مركز إدارتها ، أو من المحيط الذي استقرت فيه ، لذلك يصدق هنا القول : "لا ترسل قوة لا تستطيع إمدادها أو استرجاعها " ، وقد تكون مصادر القدرات تلك بعيدة أو قريبة ؛ داخل الحدود أو خارجها ، المهم أن تتوفر القدرة على رفد رأس الجسر هذا بكل ما هو مطلوب من قدرات وإمكانيات ؛ ليبنى ويدافع عن نفسه ويحمي ما فيه مقدرات ، ثم ليقدر على توسيع مجاله الجغرافي والديموغرافي .

٣. **توفر (شبكات) طرق ومداخل ومخارج آمنة** :

وحتى يُمد رأس الجسر ذلك بأسباب الحياة ؛ وحتى يستطيع الدفاع عن نفسه وحماية مقدراته وما روكم فيه من قدرات ؛ يجب أن تتوفر للمكان المختار شبكة طرق مناسبة ، ومداخل ومخارج تساعد على التزود بكل ما هو ضروري من أسباب البقاء ، كما توفر هذه الطرق وتلك المداخل والمخارج ، إمكانية الخروج من تحت الضغط أو الحصار المعادي في حال أطبق العدو على المكان أو حاصره .

٤. **توفر قدرات بشرية ومادية قادرة على حمايتها والدفاع عنها** :

إذا كانت رؤوس الجسور النظامية الكلاسيكية تتم حمايتها من خلال تخصيص جزء من قوات رأس الجسر للدفاع عنه ، بالإضافة إلى ما يؤمنه التشكيل الرئيسي لقوة رأس الجسر من حماية ، إذا كان الأمر كذلك ؛ فإن رأس الجسر الذي تقوم قوات العصابات بعمله في المدن والحواضر التي تعمل فيها حتى تتم حمايته ؛ لابد من توفر حد أدنى من القدرات البشرية والمادية القادرة على الدفاع عنه وتأمين أمنه الشامل ـ أفراد ، مقرات ، معلومات ـ ، فليس متصوراً أن تقوم مجاميع المقاومة بعمل رأس جسر لعمل في مدينة أو قرية من قرانا ؛ وليس لها فيها حد أدنى من قدرات تدافع بها عن نفسها أمام التهديدات والمخاطر المتصورة .

٥. **طبوغرافيا مساعدة على رعاية أصل التأمين الشامل :**

إن طبوغرافية رأس الجسر المساعدة على بنائه والحفاظ عليه لتحقيق أصل الهدف منه ؛ من أهم المواصفات المطلوب توفرها في البقعة الجغرافية محل الاختيار ، فبناء رأس جسر مقاوم في مكان سهل السيطرة عليه بوسائل السيطرة البشرية والمادية ؛ من قوات وطائرات ووسائط قتالية ، بناء رأس الجسر في مثل هذه الجغرافيات من أكثر الأمور التي تؤدي إلى فشل التجربة وعدم تحقيقها لهدفها ، فضلاً عن عدم تكرار محاولة انشائها وبنائها ، لذلك عند اختيار بقعة ( اقرأ مدينة أو قرية أو خربة ، بناية في حي ) جغرافيّة لتكون رأس جسر تنزل فيه قوى المقاومة ، يجب اختيار تلك البقع التي تسيطر هي على محيطها ، وتؤمن لمن هم فيها سيطرة بالرؤية والنار على جوارها ، فلا يفاجأ من هم فيها بعدوهم يطرق بابهم ، ولا يؤخذوا على حين غرة .

٦. **محيط رخو وآمن نسبياً** :

ويساعد على إطالة عمر رؤوس الجسور هذه أن تكون في محيط ( رخو) وآمن نسبياً ، فلا هي في أماكن ثقل العدو الأمني والعسكري ، ولا ضمن سيطرته ومكان مسؤوليته المباشرة ، و( رخاوة ) المكان التي هي فيه ؛ تمكّن المقاومين المتحصنين فيه من حرية الحركة والمناورة ؛ ومنها ولها ، كما يمكنهم من توسيع وضعيتهم وقضم مزيد من الجغرافيا المحيطة بهم أو بسط (سلطتهم ) عليها بسهولة ويسر ، وبأقل الأكلاف والمتطلبات البشرية والمادية .

**٧. يخدم هدفاً أكبر منه :**

قلنا أن رأس الجسر هو مكان تموضع ظرفي غير دائم ، وأنه يأتي في سياق خدمة هدف آخر ، أهم منه قيمة ، وأكبر منه مساحة ، لذلك عند اختيار مكان ما ليكون رأس جسر ، لا بد من أن يكون ضمن حلقة في مسار عمل تكاملي ، يكمل بعضه بعضاً ، وكون بناء رأس الجسر من الأمور المكلفة على الصعيد المادي ، والخطيرة على الصعيد الأمني ؛ فلا بد من أن تخضع هذه العملية لمعادلة الجدوى والأكلاف ، فلا يُقبل أن تبذل الطاقات وتصرف المقدرات على بناء رأس جسر لا يوصل إلى هدف أكبر أو أكثر أهمية منه ! لذلك يجب التنبه لهذه المسألة عند التفكير في تنفيذ مثل هذا الإجراء أو القيام به .

**٨. تتمتع بالقدرة الاستيعابية المناسبة للاحتفاظ بالقدرات المُقر ادخارها :**

فلكل جسم طاقة ، ولكل إناء سعة ، ورؤوس الجسور عندما تبنى ؛ تبنى لتستوعب كماً معروفاً من القدرات البشرية والمادية ـ تزيد أو تنقص قليلاً ـ لذلك عند اختيار هذه الجغرافيات لتكون رؤوس جسور ، من الجيد معرفة الكم البشري والمادي الذي سيدخل إلى هذه الأماكن وسيتموضع فيها ، حتى لا نفاجأ بأن القوة التي ستدخل إلى رأس الجسر هذا أكبر بكثير مما تتسع له مساحة المكان الجغرافي ، أو أن من سيلتحقون بهذا المكان من القلة بمكان بحيث لا يستطيعون تأمين الحد الأدنى من متطلبات الأمن الشامل المطلوب لهم لتنفيذ مهامهم في هذا المكان ، أو انطلاقاً منه .

بعد أن جئنا على ذكر بعض أهم مواصفات رؤوس الجسور التي يمكن أن تبنى لتساعد في توسيع وضعية المقاومة في فلسطين عموماً والضفة الغربية خصوصاً ، نأتي في العنوان التالي للحديث بشكل سريع عن آلية بناء هذه الحواضن البشرية المقاومة .

**رابعاً : آلية البناء :**

**١. حسن اختيار المكان :**

إن أول إجراء من إجراءات بناء رؤوس الجسور هذه ؛ حسن اختيار المكان ، لذلك عند البحث عن جغرافيات لعمل رؤوس الجسور تلك ، لا بد من اخضاعها لقائمة معايير الاختيار وهي عبارة عن تطبيق مواصفات رؤوس الجسور التي ذكرنا سابقاً ، على ما يتم اختياره لاحقاً ، فإن توفرت هذه الشروط مجتمعة ؛ فبها ونعمت ، وإن تعذر توفر بعضها ؛ فلا أقل من تمتعها بأكثر عدد من تلك المواصفات .

**٢. تأمين وسائل وإجراءات حمايتها والدفاع عنها :**

كما يجب قبل البدء بعمليات البناء تلك توفير متطلبات حماية البدء بإنشائها ، حتى لا (يجز) ما يتم مراكمته من قدرات وأصول بشرية ومادية ، وهذه القدرات يجب أن تصل وتستقر في المكان قبل وصول القوة الرئيسية التي ستعمل على توسيع ( قضم ) جغرافيا المكان ، أو بسط السلطة وإعمال السيطرة على المحيط المجاور .

**٣. تأمين طرق وممرات ومعابر الوصول لها والخروج منها :**

كما أن تأمين شبكة طرق للدخول والخروج منها يعد من أهم إجراءات بنائها ، فلا يعقل أن يتم بناء رأس جسر في منطقة ما ، ويكون معزولاً عن محيطه ، فيتحول من رأس جسر يراد أن يتم التوسع منه إلى جزيرة معزولة عن محيطها تسهل محاصرتها وخنقها .

**٤. تكثير مراكز الثقل فيها :**

وعند بناء مثل هذه المواقع ، يجب عدم تركيز مراكز ثقلها البشري أو المادي في مكان واحد ، إن ضُرب أو تَهدد ؛ انهار كامل رأس الجسر ، وتشتت وتناثرت أشلاؤه ، وإنما يجب أن تُعدد مراكز ثقل هذه المناطق وتوزع في أكثرمن مكان من رأس الجسر ذلك ، بحيث توفر لها أفضل حالة من التوازن والاستقرار في مختلف المواقف ، وتصمد أمام أعتى التهديدات .

٥. **توزيع القدرات على كامل المساحات** :

وكما أن رؤوس الجسور يجب أن تتعدد مراكز ثقلها ، فإن ضُرب مركز ، فدونه مراكز أخرى تديم العمل ولا تخلي الساحة ، لذلك يجب أن توزع ما في هذه الجغرافيات من قدرات على كامل مساحة العمل ، فلا تستأثر بها منطقة دون أخرى ، وإنما تخضع المفاضلة في التجهيز والاعداد لقاعدة أن الأهم يأخذ الأكثر ، وأن تخصيص القدرات يخضع لسلم الأولويات وما هو مطلوب أداؤه من مهمات .

أما عن متطلبات وطرق الاستثمار والتشغيل ، فيمكن اختصارها في العنوان الأخير من هذه الورقة والتي يمكن أن تكون على النحو الآتي :

١. **عدم الحيدة عن المهمات** :

عدم إغفال مهام رؤوس الجسور ، وعدم تحميلها أكثر مما تطيق ، وتكليفها أكثر مما تستطيع ، فهي ليست قوات صلبة قادرة على تنفيذ كل المهام ، ولا هي ذات إمكانيات متعددة تمكنها من النهوض بكل الأعباء ، إنها قوات ظرفية تخدم هدف مرحلي ، من أهم أصول عملها أصل الحفاظ على الذات.

٢. **توسيع الوضعيات** :

ومن طرق تشغيل واستثمار رؤوس الجسور تلك ، محاولة توسيع وضعية القوات فيها ، وبسط نفوذها وسلطتها على جغرافيات مجاورة ، وعدم قبول موقف الانحباس في الجغرافيا ، فرأس الجسر مكان ظرفي لمدة زمنية محددة ، ولا يستقيم الركون له والكمون فيه إلى المالا نهاية .

٣. **الاقتصاد بالقدرات** :

ومن متطلبات التشغيل والاستثمار المهمة ؛ الاقتصاد بالقوات والقدرات المراكمة في هذه الأماكن وعدم الدفع بها كاملة في وجه العدو ، ولنتذكر أن مهمة القوات في رأس الجسر ؛ المحافظة على الذات واشغال العدو وصرفه عن استهداف القوة الرئيسية ، إلى حين التحاق كامل القوات بكامل القدرات برأس الجسر ذلك ، عندها يمكن التفكير بخوض المعارك والاشتباكات الحاسمة مع العدو .

٤. **إمداد ( الساحات )** :

كما أن أحد أوجه استثمار رؤوس الجسور ؛ إمدادها للساحات المجاورة أو البعيدة بالرجال والعتاد ، فهي تراكم فيها ما يمكّنها من الدفاع عن نفسها ، وما يعينها على توسيع وضعيتها ، وأحد صور توسيع الوضعية يمكن تخيله في فتح (جبهات) جديدة في وجه العدو ، وإجباره على التشتت والانتشار في الجغرافيا الأمر الذي يزيد من ضعفه وإمكانية الحاق الأذى به .

٥. **البعد عن (المغامرات):**

والبعد عن المغامرات أصل مهمٌ من أصول المحافظة على رؤوس الجسور ، فليس كل تهديد يجب الخروج للتصدي له ، ولا كل خطر يعد خطراً وجودياً يتطلب الكشف عن كامل القدرات لكبحه ، وإنما يجب أن تدار عملية استثمار وتشغيل ما في رأس الجسر من أصول بشرية ومادية ، برؤوس باردة وأعصاب من حديد .

ختاماً ؛ فإن مدننا وقرانا في الداخل المحتل ، وفي مناطق الضفة المختلفة ، تصلح أن تكون رؤوساً لجسور مقاومة تُبنى وتراكم فيها القدرات ، وتُنمى فيها الخبرات ؛ فقط إن أحسنا معرفة مهمة قوات

المقاومة ، وتحديد رؤيتها في إدارة معركتها مع عدوها ، وكذلك معرفة أهداف ونوايا العدو تجاهنا ، الأمر الذي يعيدنا إلى مربع المعلومات المطلوب الانشغال بها ؛ جمعاً وتصنيفاً وتحليلاً وقراءة وتقديراً . والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

عبد الله أمين

١٩ ٠٢ ٢٠٢٣